السنة السادسة

حبر

مداد قلم ونبض قضية

العدد
275

صحيفة أسبوعية اجتماعية سياسية منوعة / مستقلة / تصدر من حلب صباح كل يوم سبت

23 شباط 2019
18 جمادى الآخر 1440

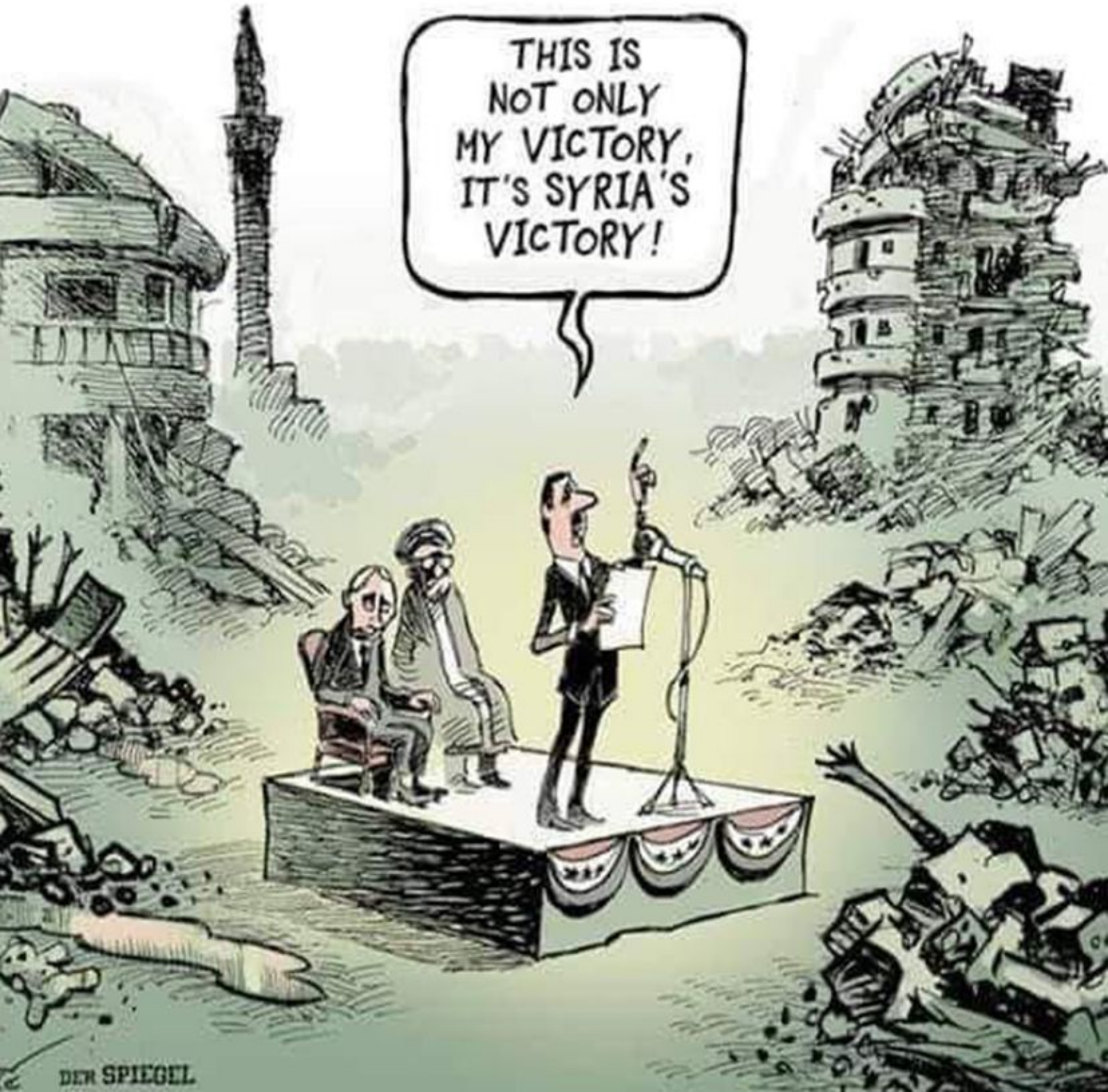

08 من دفاتر المواطن صفر... غسيل أدمغة" (1) — فرات الشامي

02 الاحتفاظ بحق الرد أم الهزيمة في الشمال — علي سندة

03 المجتمع والفرد.. "التنمية" لا تقتصر على أحدهما — فاطمة حاج موسى

06 الأسمدة الكيماوية تسبب عقم التربة وخطرة على صحة الإنسان — خلود مخباط

09 مفخخات الموت — سلوى عبد الرحمن

12 6000 طالب في امتحانات جامعة حلب الحرة — عبد الملك قرة محمد

10 صناعة التنور.. خبز يمتزج بطين الأرض — حمزة العبد الله

11 المرض النفسي الذي تفرد به العرب — جاد الحق

13 رياضة: تعرف على راتب محمد صلاح الأسبوعي — أسرة التحرير

14 بيجوفيتش وهروبي إلى الحرية — سليم أبو رشيد

فريق العمل

المدير العام
أحمد وديع العبسي

رئيس التحرير
غسان الجمعة

مدير التحرير والمدقق العام
علي سندة

مساعدو التحرير
عبد الملك قرة محمد
سلوى عبد الرحمن

العلاقات العامة
أحمد جعلوك

مسؤول التنسيق والمتابعة
غسان دنو

جميع المراسلات باسم المدير العام
info@hibrpress.com

جميع المقالات تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

/hibrpresse

/Hibrpress

/hiberpress

info@hibrpress.com

+90 537 656 46 75

Aleppo, Syria

www.hibrpress.com

العدد 275

علي سندة

الاحتفاظ بحق الرد أم الهزيمة في الشمال

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالُ.. فليسعد النطق إن لم يسعد الحال.

نستغرب فعلاً هذا الصمت المريب من جحافلنا المسلحة ومن الجيوش المدججة والفصائل المتوزعة على مختلف أرضنا المحررة تجاه القصف المتواصل من قبل النظام لمناطق خفض التصعيد المتفق عليها بين الدول الضامنة الثلاث، وكأن عدوى الاحتفاظ بحق الرد انتقلت من عدونا إلينا في ساعة غفلة أو ساعة مذلة.

هل نحن الموكلون فقط باحترام الضمانات ودولها مهما اعتدى الخصم وزاد إجرامه، أم أن الاتفاق ينص على أن تخرس أسلحتنا أمام فصاحة أسلحة النظام وقوتها؟!

تكررت هذه الاعتداءات كثيراً منذ توقيع الاتفاق أول مرة، ولعلنا نعلم أن النظام لا يريد لهذا الاتفاق أن يستمر، لذلك نراه يقوم بخرقه بين الفينة والأخرى بشكل موجع، لكي ينقل المنطقة إلى حرب، ولا نعتقد أنه من الحكمة ألا يرد الجيش الحر على هذه الاختراقات ليحافظ على الاتفاق، فالفاتورة التي يدفعها هي من حاضنته في المناطق المحررة، وإذا ما خسر هذه الحاضنة لعدم تمكنه من الدفاع عنها سيصبح سهلاً على النظام أن ينتزع منه مناطق جديدة.

لذلك لا بدّ من أن يكون الرد موجعاً، ولكن ليس في حاضنة النظام، فحربنا التي نخوضها هي حرب أخلاقية في الدرجة الأولى، وإنما بالتركيز على ضرب الموارد العسكرية والنقاط الحساسة مع تحييد واضح للمدنيين، وإعلان هذا التحييد، وبأننا نرد على اختراق الاتفاق بمثله لكن دون أن نكون مجرمين كما يفعل النظام، أمّا الاكتفاء بالسكوت وتلقي الضربات فهو أمرّ سيوهن العزيمة ويجلب الهزيمة عمّا قريب.

وإن كان ضامن الجيش الحر لا يفضل الرد، فهذا شأنه، فالحلفاء تجمعهم مصالح مشتركة ولا يكون أحدهم تابعاً للآخر، ومن يتخلى عن حقوقه يفقد احترامه حتى عند حلفائه.

إن الخروج عن النص هو ما لا يتوقعه النظام لذلك يتمادى بإجرامه وإن ردوداً قاسية ومدروسة بشكل جيد ستجعل الاتفاق أكثر رصانة وثباتاً.

من المعيب ألا نرى الفزعات وإرادة القتال عند الفصائل المختلفة إلا عندما ينشب اقتتال بينها، إن هذه الازدواجية أيضاً (أعني قتال بعضها وعدم قتال النظام) هي أخطر ما يدمرها داخلياً، ويجعل الحاضنة الشعبية تتمنى الخلاص منها ولو لصالح الشيطان.

ولا يجب أن يفوتنا أن اتفاق الدول الضامنة ربما سيكون قريباً لتحديد شكل الحل في سورية، خاصة مع نشاط مساري أستانة وسوتشي، وإعادة تفعيل اللجنة الدستورية في جنيف، وكل القوى تحرص للحصول على مكاسب أكبر وأوراق تفاوض أقوى قبل الاتفاق، منها الأرض وإمكانية الحسم العسكري، ولن يهتم الاتفاق إذا ما تضاءلت مرة أخرى مناطق المعارضة أو زادت، كما لن يهتم أحد لعدد الاختراقات والردود عليها عندما يحدث الاتفاق، وما يحاول النظام فعله هو التقدم لأكبر بقعة جغرافية ممكنة من الأرض قبل أن يحدث الاتفاق ليكون موقفه قوياً في المفاوضات، وهذا ما يجب ألا نسمح به، ويجب أيضاً أن نسعى إليه بدورنا.

فاطمة حاج موسى

المجتمع والفرد.. "التنمية" لا تقتصر على أحدهما

انطلاقة الربيع العربي وضعت الشعوب العربية أفراداً وجماعات في مواجهة التغيير وقضاياه، وقد تعرضت هذه القضايا لصعوبات ومشاكل جمّة اتخذت وجهة جديدة في المجال النظري والتطبيقي، حيث ركزت، وبحسب الاحتياجات بعد سقوط بعض الأنظمة وعموم الفوضى في بلدان أخرى، على هموم الناس الجمعية الأساسية في الاقتصاد والصناعة والعناية بالسكان و تأمين احتياجاتهم الأساسية من (تعليم، وصحة، وتغذية، وسكن، وتأهيل تقني وعملي في مختلف المجالات)، لكنها لم تعطِ للأفراد اهتماماً كافياً كما اهتمت بالبنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، مع أن الفرد وليد هذه البنية الاجتماعية بشكلها البدائي، وعدم تطوره يعني أن هذه البنية ستبقى متخلفة، والتركيز على الفرد ضمن الاحتياجات الجمعية ذات الطابع الاستهلاكي، هو خدمة لتدوير عجلة الجماعة الخاملة، وليس فاعليتها، أمّا الاهتمام بالفرد على أنه عنصر فاعل ومحرك أساسي في البنية الاجتماعية، وليس جزءًا مستهلكًا من أجزائها، يمنحه دورًا فعالاً يؤثر ويتأثر، ويستطيع أن يغير بالبنى إذا خضع للعناية والتعليم والتدريب المناسب.

نلاحظ أن تجاهل هذا الأمر أوقع بعض الدول والمجتمعات، الذين يحاولون التغيير بالمجتمع، بمآزق وضغوطات كبيرة أدت إلى هدر الجهد والوقت والإمكانيات المادية الموجودة، وبالتالي التبذير الواضح وتحميل المجتمع عبئاً ثقيلاً فوق طاقته، وتحويله إلى مجتمع عالة.

انطلقت التنمية بمشاريع طنانة ذات بريق و وجاهة تمثلت بدراسة مخططات ومشاريع جزئية بسيطة، لم تنفذ لبنية مجتمعنا بالنسبة إلى التكوين النفسي والذهني للأفراد الذين أُريد تطويرهم، نتيجة وضع خطط ونماذج مستوردة، نجحت تاريخياً في البلدان الصناعية حيث المنشأ، وأخفقت في أغلب البلدان المستوردة لها، لأنها تختلف في جوهرها عن طبيعة البيئة التي تطبق فيها هذه المشاريع أساساً، بدءًا من الوضع المعيشي إلى العادات والتقاليد المختلفة التي لا تناسب المجتمع و اختلاف تربية الأفراد، فبقيت مشاريعًا ذات طابع دعائي استعراضي، ولم تستطيع تحريك بنية المجتمع ككل أو الارتقاء بأفراده.

في سورية، وبظل الحرب التي أثرت بشكل كبير على الأفراد ووعيهم، انبثقت عدة مؤسسات وأُنشئ الكثير من المنظمات التي تدعو للتغيير والاهتمام بالأفراد، توزعت بمناطق مختلفة من الداخل السوري، بأسماء متنوعة وهدف واحد "تغيير الفرد و التأثير عليه" لكن ما مدى نجاح هكذا مؤسسات خصوصاً أن غالبيتها العظمى مستوردة من مشاريع خارجية طبقت على أفراد مختلفين تماماً، بدءًا من البيئة، وأوضاع المعيشة، بالإضافة إلى الحرب، لكن لا ننسى مساعداتهم خصوصاً بالمشاريع الإنسانية التي ساهمت بمساعدة المنكوبين (وهو فقط ما نجحوا به) الذين يعيشون بمناطق الصراع، ولم تلبِ حاجة الأفراد للتغيير الذين رغبوا باستئصال الورم الذي أصابهم، وليسوا بحاجة حُقن مهدئة لآلامهم، وأخرى مُخدرة تنسيهم لبعض الوقت ما يعايشوه من قهر وألم، أقيمت أغلب المؤسسات لمساعدة الناس، وربما لإسكات أصواتهم فحسب، تساؤلات كثيرة، تحتاج تفسيرًا واضحًا للوقائع والأحداث حتى لا نُخون من يقدم يد المساعدة لهذه الفئة بالمجتمع، ومن ضمن هذه التساؤلات.. هل ما تقدمه لنا هذه المنظومات والمؤسسات كان متوفرًا لدينا سابقاً؟ وهل نهضتنا ستتحقق بما توزعه علينا هذه المؤسسات؟

نهضتنا هدفها مختلف عمَّا يُقدم لنا من أشياء تُشترى ببيع خيراتنا من جهة، وتُرسَل لنا مساعداتٍ من الجهة الأخرى، الحق الذي نطالب فيه مختلف عن حق العيش والسكن والأمان والتعليم وغيرها ممَّا تدعو له قوانين الغرب؛ لأننا نعلم جيداً ما هي حقوقنا التي صرخنا من أجلها، لم نصرخ من أجل الفاجعة ثم لكي نعالجها.

كل ما في الأمر أننا لم نعد ذاك القطيع الذي يُساق حسب ما يريد الراعي، وهذا ما لن نقبله مرة أخرى، أعلنا الثورة وأشعلنا الثأر لسنوات الغرق المديدة بعد أن تنفسنا حريتنا، شبعنا من الخطابات والهتافات التي لا تغني ولا تسمن من جوع، مضينا نحو الإبداع والتغيير بعيون متفتحة لا نريد غلقها على الاكتفاء بمعالجة المأساة فحسب.

إننا لا نخشى غياهب طرق مظلمة نعبر إليها ولا نعود، لا نخاف أن تنطفئ شعلة وجودنا عندما نتحدى الطغاة، قررنا تدمير أصنامنا ليبقى نور شعلتنا يضيء دروب الحرية لأجيالنا القادمة، وهو ما نحتاجه في معركة التغيير التي نخوضها.

وبعد كل خساراتنا لم يعد هناك مكان للرضوخ والتخاذل والتنازل عن حقوقنا، ومن هنا بدأت تنبع أهمية محاولاتنا لتغيير الأفراد بأن نفتح أعينهم المغمضة عن حقوقهم المسلوبة حتى يطالبوا بها، لأن ظواهر هؤلاء الأفراد مشتتة تذهب في كل اتجاه وتظهر تصرفاتهم ومواقفهم ونظرتهم بأنها مشتتة، الواقع كل فرد هو كلٌ متماسك له بنيته الخاصة وديناميته المتطورة التي تحتاج لتنظيم وفهم جدلي، رغم ما يبدو عليه من سكون ظاهري، بسبب تحكم التقاليد وما تحكمه من جمود بالمجتمع، الفرد المتخلف أو الذي لا يعلم ما حقوقه في موطنه، مع وجود نماذج معينة من التكوين النفسي وطبيعة أساليبه الدفاعية دون تخصيص أو تعميم، وكان لانفجار العنف فرصة للكشف عمَّا يعتمل في بنية المجتمع من عنف مخفي، والتناقضات بالصراع توضح بالعين المجردة ما يتعرض له الأفراد من قهر واعتباط، خصوصاً مع ما يتخذه العنف حالياً من هدر لكيان الإنسان، فهو تحديد نمط تلك العلاقات و الاستجابات بأشكال مقنعة غير مباشرة وراء السكون الظاهري وتأثير ذلك على كل فرد مقهور الذي يعد نتاج التخلف الاجتماعي.

"السلام2" حملة ضد مروجي المخدرات في جرابلس

بدأت قوات الشرطة والجيش الوطني السوري في ريف حلب الشمالي الشرقي، صباح الأربعاء، حملة أمنية باسم "السلام2" ضد مطلوبين بتهم مختلفة بينها ترويج المخدرات في درع الفرات وغصن الزيتون.

وأشارت مصادر محلية، أن المعلومات الأمنية والجنائية أفادت بـ تورط 400 مطلوب، جميعهم يعملون في تجارة المخدرات وترويجه، تسعى الحملة لاعتقالهم.

هرباً من إسرائيل.. إيران تنقل قواتها إلى حلب

بدأت قوات الحرس الثوري الإيراني بإخلاء بعض مواقعها شرقي سورية، وذلك تجنُّباً لأي غارات جوية من الطيران الإسرائيلي.

وذكر موقع "جرف نيوز" أن الميليشيات نقلت جزءاً من قواتها المتمركزة في دير الزور إلى معامل الدفاع في منطقة الواحة جنوب شرق حلب، مشيراً إلى أن عملية النقل تمت برّاً، وكان يرافقها دوريات من استخبارات النظام وعناصر "لواء الباقر".

وأضاف المصدر أن الضباط والعناصر الإيرانيين اتخذوا من مبنى كامل في مساكن الواحة مقرّاً لإقامتهم، كما خصصوا أحد مستودعات معامل الدفاع لتخزين الأسلحة.

قسد تستغل النازحين بأعمال تنقيب في منبج

قالت مصادر محلية: إن "قوات سورية الديمقراطية" خربت الجزء الأكبر من "القناة الرومانية" الأثرية القريبة من مدينة "منبج" بريف حلب الشرقي، مشيرة إلى أن "قسد" تحظر المنطقة عسكرياً على المدنيين.

ولفتت المصادر إلى أن "قسد" تشغل في عمليات الحفر نازحين يقطنون في مخيم "عين عيسى" بريف الرقة الشمالي الغربي، وذلك مقابل 15 ألف ليرة سورية لحفر المتر المكعب الواحد، علما أن عملية نقل النازحين من وإلى مكان العمل تتم بحافلات تابعة لـ "قسد" ولا يسمح للعمال بمغادرة مكان العمل أياً كانت الأسباب.

تصريح يكشف عدد السوريين الذين عادوا من تركيا إلى بلدهم

كشف وزير الداخلية التركي سليمان صويلو، أنّ 311 ألف سوري عادوا إلى بلادهم بفضل الأمن والاستقرار الذي حققته عمليتا "درع الفرات" و" غصن الزيتون".

جاء ذلك في الكلمة التي ألقاها خلال المؤتمر الوزاري السادس لعملية بودابست من أجل الهجرة، في العاصمة أنقرة.

خلود مخباط

الأسمدة الكيماوية تسبب عقم التربة وخطرة على صحة الإنسان

"كنا نستخدم فضلات الأبقار في سماد الأرض لأجل زيادة غلة الدونم الواحد وكانت العملية تتم بسهوله ويسر دون تكلفه، لأن السماد الحيواني متوفر عند أغلب المزارعين والفلاحين ولا نعلم غيره في تسميد الأرض." بحسب ما قاله (محمد ناصر) أثناء لقائنا به.

إلا أن الإسراف الكبير في استخدام الأسمدة الكيماوية يشكل خطرًا على صحة الإنسان وسلامته وعلى البيئة والحيوانات التي تعتاش على بقايا المزروعات أو تلك التي تتعرض إلى التلف.

ويرجح مختصون أن تزايد الإصابة بمرض السرطان أحد أسبابه التزايد في استخدام الأسمدة التي حلت بديلاً عن الأسمدة العضوية الأمينة على صحة وسلامة الجميع، فضلاً عن تأثيرها الجيد في المزروعات التي تتميز بالألوان الزاهية والنضج والمحافظة على القيمة الغذائية، ولأجل زيادة الإنتاج ونضجه بوقت مبكر للمبيعات الأولى التي غالباً ما تكون بأسعار مرتفعة يستخدم بعض المزارعين كميات كبيرة من الأسمدة الكيماوية كي يحقق مبتغاه.

ولكن هناك من يدفع الثمن؟!

المهندس الزراعي (أحمد العلي) يشرح لصحيفة حبر أثر ذلك بقوله: "بعد دخول الأسمدة الكيماوية في الإنتاج الزراعي أخذت نوعية المحاصيل تتغير وتفقد العديد من خواصها وميزاتها الغذائية، خاصة إذا ما علمنا أن نسبه كبيرة من المزارعين يستخدمون الأسمدة الكيماوية دون مراقبة المهندس الزراعي وإشرافه ودون الالتزام بالكميات المحددة، ظنًا منهم أن استخدام كميات أكبر من الأسمدة الكيماوية يفيد الزراعة وهي عكس ذلك، لأن الأسمدة الكيماوية هي مواد تتفاعل مع التربة بشكل سريع وتترك آثارًا سلبية على عناصر البيئة المختلفة."

وشدد (العلي) على أن الإسراف في استخدامها دون تقيد بالتعليمات والإرشادات الزراعية قد يؤدي إلى مشاكل بيئية عديدة خاصة النتروجينية والفوسفاتية التي تعد أكثر الأنواع استخدامًا وتأثيرًا في البيئة، موضحًا أنها تتسبب بتلوث المياه الجوفية والأنهار والهواء، فضلاً عن تأثيرها في صحة الإنسان والفلاح بوجه الخصوص لأنه قريب منها إن كان قبل الاستخدام أو أثنائه أو بعده.

ووفقًا لتقديرات منظمه الصحة العالمية فإنه يستعمل في التطبيقات الصناعية حوالي نصف مليون ماده كيماويه من بينها (40000) تتمتع بخواص ضاره للإنسان ومن ضمنها (12000) ماده سامة، ومن المتفق عليه أنه ليست هناك مادة كيماوية أمينة كليّاً، وبالمقابل ليست هناك مادة كيماوية يمكن اعتبارها ضارة تمامًا، فالتربة هي مصدر أساسي لحصول النباتات على عناصر غذائية واحتياجاتها بالإضافة إلى الهواء والماء وازدياد الطلب السكاني على الغذاء.

المهندس الكيميائي (سفيان زير) يقول: "إن الأسمدة العضوية تجعل التربة خصبة إلى عقود من السنين والأراضي التي مازالت تستخدم الأسمدة العضوية في دول عدة تشتهر بالزراعة خصبة إلى الآن، إضافة إلى أن سكان القرى الزراعية يتمتعون بالصحة والسلامة نتيجة الابتعاد عن المواد الكيماوية."

وأكد (الزير) أن: "الأسمدة الكيماوية تزيد من عقم التربة، وبعد فترة وجيزة قد تصبح غير قادرة على الزراعة بسبب فقدانها لعناصرها الأساسية المهمة، وبشكل خاص عمق التربة الذي تتراكم فيه المواد الكيماوية نتيجة السقي وتفكك التربة."

لقد أثبتت الدراسات والبحوث أن المساحات الزراعية التي تُسمد بالمواد العضوية تكون نسبة الإنتاج فيها أعلى من مثيلاتها التي تُسمد بالمواد الكيماوية فضلاً عن التأثيرات الصحية على الإنسان والحيوان والبيئة بشكل عام.

فن

مكسيكم خليل لن أعود إلى الدراما في سورية

قال الفنان المعارض (مكسيم خليل) في حوار مع صحيفة "الأخبار" اللبنانية: أنه لن يعود إلى سوريا وإلى الدراما التي تصور فيها إلا إذا استطاع قول ما يريد بحرية، وأضاف "لا يمكنني المشاركة في دراما لا تتحدّث عن الواقع في سوريا بكل صدق وأمانة. على المشاريع أن تقول الحقيقة كما هي لا نقل وجهة نظر طرف واحد فقط".

يذكر أنه في أكتوبر 2015 أصدر النظام السوري مذكرتي اعتقال بحقّ خليل، الأولى صادرة من المخابرات العامة برقم 78442، والثانية من (الأمن السياسي)، كما أصدر مذكرة اعتقال بحق زوجته الفنانة (سوسن ارشيد)

صحة

قالت دراسات حديثة: "إن تناول الشوكولا بشكل معتدل يقلل من احتمال إصابة الإنسان باضطرابات القلب".

وأكد الاختصاصيون على العلاقة بين تناول الشوكولا بشكل منتظم وانخفاض احتمال الإصابة بالرجفان الأذيني الذي يتميز بعدم انتظام ضربات القلب، وأن تناول 28 غراماً من الشوكولا أسبوعياً، يخفض خطر الإصابة بقصور القلب بنسبة 18%

تكنولوجيا

وداعاً للإزعاج.. تحديث جديد في واتساب يتعلق بالمجموعات

أخيراً سنودع المجموعات المزعجة وغير المرغوبة على "واتساب". تطبيق جديد يجري حالياً اختباره على أنظمة تشغيل الهواتف المختلفة، ما سيتيح للمستخدم اختيار آلية إضافته إلى أي مجموعة كانت.

كل ما عليك القيام به هو الدخول إلى قائمة الإعدادات، فالحساب، فإعدادات الخصوصية ثم المجموعات لاختيار الإعدادات الأنسب لك.

صناعة الصحافة

الأجناس الصحفية (1)

المختصر: يجيب عن سؤال (ماذا) بالدرجة الأولى ويقتصر دوره بالإخبار عمَّا وقع دونما توغل بالتفاصيل.

المختصر الموضح: يجيب عن سؤال (كيف ولماذا) ويضم تفاصيل لا يسعها المختصر.

المقال الإخباري: تحتوي عناصره المختصر والموضح وقد يفوق الأربعة فقرات ويتجاوز 700 كلمة.

المقال التجميعي: هو مقال من مصادر صحفية مكتوبة مكونة من (معلومات وأدوات أو عبارات دمج تجسير).

فرات الشامي

من دفاتر المواطن صفر . غسيل أدمغة "1"

الوصول إلى باب المدرسة الابتدائية في ثمانينات القرن الماضي كلفني الكثير من الدموع.. لم أكن عرفت معنى الاعتقال، لكنه إحساسٌ غريب دفعني للعدول عن دخول تلك الباحة الضيقة، والأسوار المرتفعة، ليؤصد الباب الأسود الحديدي عن عالم الطفولة. كبرنا وإن لم نهرم، لكننا اكتشفنا دقائق ذلك الإحساس القديم، عرفنا متأخرين أننا عشنا خلف أسوار سجونٍ وضمن أفرع مخابراتٍ، خلف مقاعد خشبية، من الساعة الثامنة صباحاً حتى الثانية عشر والنصف ظهراً. لحظاتٌ امتلأت رعباً منذ دخول المدرسة في طابورٍ طويل نردد: "حماة الديار ... عليكم سلام

أبت أن تذلّ النفوس الكرام" لكن النفوس تُذلّ في كل ثانيةٍ بدايةً من كلام مدرب الفتوة في المرحلة الإعدادية والثانوية (أستاذ العسكرية) الذي يرتدي الزي العسكري، واضعاً على خصره مسدساً من نوع لاما ومخزنين! إن حمله للسلاح أمرٌ مشروع مبرراً بقوله: "أنا رفيق عضو عامل بصفوف الحزب، والمرحلة تتطلب حمل مسدس؛ بما أننا نعيش مرحلة صعبة بتاريخ سورية دولة المواجهة مع الكيان الصهيوني التوسعي."

أبت أن تذل النفوس الكرام.. لكننا نبدأ النشاط الصباحي بالشتيمة القبيحة والألفاظ النابية التي يطلقها الموجه والمدير والشخصية المحورية "مدرب العسكرية"، ثم تبدأ فنون الزحف في الباحة المدرسيّة ومسح الأرض بثيابنا التي أنهكت أيدي أمهاتنا كياً وغسلاً لها، بعد كلّ ما يسمونه "تدريباً أو عقوبة".

نردد دون فهم بعد أن يقول عريف المدرسة: ((عهدنا)) نجيب بصوتٍ واحد: "أن نتصدى للإمبريالية والصهيونية والرجعية. ونسحق، أداتهم المجرمة عصابة الإخوان المسلمين العميلة". كرهنا كل تلك المسميات الكبيرة التي لم يتسع فهمنا لها ولخلفياتها التاريخية، كأننا نرضع كرههم يومياً. والغريب أنّ أحداً لم يخبرنا تفاصيل عمالة الإخوان المسلمين، ومعنى الرجعية، والإمبريالية التي عجز الغالبية من الطلاب عن نطقها.

ارتدينا الزي العسكري الكامل، ونحن نحلم بارتداء ثيابنا العادية التي نرتاح بها.. لكن هيهات؛ فالمرحلة حساسة والمؤامرة ضد سياسة السيد الرئيس، الطليعي الأول، الرفيق حافظ الأسد، كانت بلغت ذروتها، كما يقول مدرس مادة "الوطنية"، أو ما عُرف في مراحل لاحقة "القومية العربية".

منذ المرحلة الإعدادية وحتى الثانوية نرتدي البدلة العسكريّة الخضراء، والحذاء الأسود، "بوط عسكري حصراً"، وربطة عنق مع قميصٍ أخضر، وسيدارة/قبعة تعلو الرأس، حتى الجوارب سوداء، وأخبرونا أن ذلك لإ رهاب العدو.

ومن ضمن سياسات الإرهاب للعدو حلق اللحية، يتلمسها مدرب الفتوة ويصفع من طال شعر وجهه، لكننا لم نكن دولة إرهابية على العكس، كنا نحارب ونكافح الفكر المتطرف والترهيب. حفظنا الفاتحة العسكرية عن ظهر قلب، قال لنا مدرب الفتوة: "إنها مثل فاتحة القرآن!" بل إنها العقيدة التي يجب أن نحفظها في صدورنا قبل سطورنا. مازلت أحفظها كما هي: "بما أنَّ قوة الجيش في نظامه، فقد اقتضى ذلك أن يحوذ القائد على طاعة مرؤوسيه التامة وخضوعهم له في كل الأوقات، وأن تنفذ الأوامر بحذافيرها دون تردد أو تذمر، فالسلطة التي تصدرها مسؤولةٌ عنها." ثلاث صفحات في تمجيد القيادة وتعلم معاني الانبطاح، والديكتاتورية العسكرية. غسيل أدمغة، لا يقل خطورةً عمَّا يُحكى عن الحركات المتطرفة التي تغرس إيديولوجياتها في عقول عناصرها. عشنا خارج حدود المنطق والمعقول.. قلةٌ من دوّن يوميات حياته الصفرية في دفترٍ صغير، داخل زنزانةٍ حسبناها وطناً، ملحقاً باسم القائد الخالد وآل بيته الطاهرين. في كنف تلك السنوات العجاف، حكاية شعب وملحمة إنسانية، حملنا على صدورنا فيها الرقم "صفر" اقتربنا من العدم أو لامسناه فوق مسرحٍ مسيجٍ ومرصوفٍ بالشوك.. بدأ الفصل الأ ول من الرواية في قاعة الدرس، ثم تدرجت فصول المسرحية، وكتبنا عن المخابرات والحياة الرخصية فتابعونا...

سلوى عبد الرحمن

مفخخات الموت

لحظات مؤلمة مشبعة بالدم أحملها في ذاكرتي من تلك الحرب اللعينة، لا شيء يدفعني في هذه المدينة لنسيان رائحة البارود والموت وطعم القهر بعد كل مفخخة أو قصف تتعرض له مناطقنا بشكل مستمر.

صرخات المراصد، دوي سيارات الإسعاف، صوت (قبضات (اللاسلكية وهي تنادي أطقم الإنقاذ والدفاع المدني مختلطة معها صرخات الأهالي ممَّن تسارعت خطاهم لتفقد ما حصل في ذاك الشارع المكتظ بالمارة وقت الظهيرة، كلها تسمعها عندما تعود المفخخات من جديد.

تحول المشهد من لوحة جميلة فيها عودة الأطفال من مدارسهم، والموظفين إلى بيوتهم من آباء وأمهات يحملون مستلزمات أسرهم، إلى لوحة نازفة.

تستمر اللحظات بالمرور أمام عيني، ليست شريطًا للذكرى، بل هي أحداث من لحم ودم، فجأة تنفجر سيارة مفخخة فتتطاير الأجساد للسماء، تهرع فرق الإنقاذ والإسعاف وبعض المدنيين للمساعدة، فتأتي مفخخة أخرى تكره الإنسانية أكثر من المفخخة الأولى فلا تذر أحدًا قريبًا منها على قيد الحياة.

لا أخفيكم القول إنني لم أبكِ على مشاهد الأشلاء، ولم تنزل من عيني دمعة، لكني شعرت أن قلبي يعتصر وجعًا وحنجرتي كادت تنفجر، لأنني بكل بساطة استهلكت كل الدموع، ففي كل يوم قصف ومفخخات، الموت عندنا ليس له زمان أو مكان، نعم لكل أجله، لكن الموت يرافقنا منذ استيقاظنا وحتى آخر لحظة قبل نومنا.

لا شيء ينفعك في هذه المدينة سوى استسلامك لضربات القدر، مفخخة أو قذيفة طائشة، وتوخي الحذر لن ينفعك لأنك قد تموت بقذيفة وأنت داخل منزلك، وقد يكون الأطفال في حضن آبائهم أو حتى في أرحام أمهاتهم.

تحديد نوع القصف ومكانه، وعدد الضحايا والجرحى بعد كل انفجار أو قصف، هو الحديث الأهم، لكن الأمر المخيف الذي يجعلني أتأكد من أننا سنتعرض لضربات أخرى أكثر حقداً هو عودة الناس للحركة والحياة الطبيعية بعد القصف، فما إن تمضي ساعة بعد الكارثة حتى تبدأ أصوات الناس تعلو بالمكان، وهي ترفع الأنقاض، وتُنظّف المكان من الدم والدمار، بشكل يجعلني أتأكد بأن قوة هؤلاء وقدرتهم على تحدي الموت بشكل يومي لا مثيل لها.

لا شيء تغير كثيرًا، هو ذات المشهد في كافة المشافي بعد كل مفخخة أو قصف، فلانة تبكي على أخيها أو أبيها أو ابنها، وذاك الطفلان يهزان والدهما لعله يعود إلى الحياة، فتاة في ريعان شبابها وضعت حجابها على عجل تفتح أكياسًا تحتوي على جثث لمجهولي الهوية بحثاً عن والدها المفقود فلم تجد منه سوى بقايا أب، أما فوق السرير يجلس طفل في الثالثة من عمره مندهشًا لا يعرف لمَ تحولت الألوان كلها للأحمر، وملامحه تقول ما الذي حدث؟ أين أنا وأين أهلي؟ في زاوية أخرى من المشفى نفسه، تجد طبيباً يحاول لصق ما تبقى من يد أو قدم، ولكن يبدو أنها تضررت بشكل يتعذر على الأطباء إعادة شرايينها وأعصابها إلى طبيعتها، يا إلهي كيف تمكن هؤلاء الأطباء والمنقذون من احتمال كل هذا الدم الألم؟!

بالنسبة إلينا نحن السوريين تعايشنا مع العتمة وضنك العيش، مع أحلام ربما لم يتجاوز عمرها اليوم، لكننا لم نتعايش مع الموت والأشلاء، وفي كل يوم نتساءل: ألم يحن الوقت للخلاص من المفخخات والقذائف التي تفتك بنا كل يوم؟! ألا يحق لنا أن نحلم بمشهد جميل ولوحة تنبض بالألوان والحياة؟!

حمزة العبد الله

صناعة التنور .. خبز يمتزج بطين الأرض

تستيقظ أم أحمد (60 عاما) صباح كل يوم على صياح ديك جيرانها، وأشعة الشمس الخفيفة المنسابة إلى سريرها من داخل فتحة في سقف منزلها العتيق، تصلي الفجر وتبدأ عملها الذي تحبه، والذي تربت عليه ألا وهو صناعة التنور.
بدأت "أم أحمد" بهذه المهنة منذ أكثر من 20 عاما حينها كان الطلب عليه كثيرًا، وهي حرفة تعلمتها من والدها، حيث كانت تصنع قرابة ستة تنانير في الأسبوع.
وعن طريقة صنع التنانير تقول: "أخرج باحثة عن أحجار سوداء بركانية هشة لطحنها، ثم أقوم بانتقاء الأحجار الصغيرة والكبيرة بواسطة الغربال، وبعدها أضع الماء فوقه، وأقوم ببنائه بشكل دائري بدءًا من قاعدة إسمنتية، وأدوره حسب التقدير، وأتركه لمدة أربعة أيام ليصبح قاسيًا، حيث أضع أكياسًا كبيرة فوقه ثم أجهز الطين حتى يصبح قابلاً لوضعه عليه، كما أنه يوجد ثلاثة أنواع: الكبير والوسط والصغير".
يعدُّ التنور بمنزلة الفرن الآلي في أيامنا هذه، فقبل سنوات كان الأهالي في مدينة كفرنبل يعتمدون عليه في تأمين الخبز، لا سميا وأن المدينة لم تكن تملك سوى فرنًا واحدًا، لذلك لا يمكن أن يخلو منزل منه في السابق، واليوم بقي حاضرًا في منازل كفرنبل يرسم صورة تراثية واضحة، بخبزه ذو اللذة والنكهة الفريدة من نوعها، وهو ما دفع الأهالي للتمسك به.

مكانة التنور في قلوب الأهالي

تستذكر "أم أحمد" أيام شبابها وما سمتها بحفلات الخبز، بالاشتراك مع قاطني الحي، وفي رأسها صورة "أبو حميد" محملاً حماره بالحطب، وصديقاتها، وتسهب في حديثها: "كانت صحون السمسم والفلفل الحار تفترش أطراف التنور، ثم نجهز الفلفل الأحمر لدهن بعض أرغفة الخبز، قد نؤمن ما يكفي من الخبز ليوم أو يومين، وبعد أن ننتهي من صنع العجين أكون قد انتهيت من صنع "الكارة"، وهي عبارة عن قطع من القماش، يقمنَ النساء بتجهيزه على مبدأ الكف، بحجم أكبر، يتم تخييطه ويجعلون له ممسكًا ليستطعنَ التحكم به لوضع رغيف الخبز داخل التنور.
"التنور هو سراج مضيئ داخل قلوبنا"، هكذا وصفه "أبو عمار" وتابع: "كنا دائما أنا وإخوتي نجهز الحطب، لكي نقوم بإشغال التنور، وكان لتجمع العائلة حوله جو خاص، حيث نتبادل الأحاديث ونستمتع بوقتنا، منتظرين "البلالة" رغيف الخبز الذي كان يوضع على الكارة، ويوضع فوقه الخبز الأحمر المغمس بالفلفل الحار، ما يكسبه طعمًا نادرًا، كما أن بناتي وأولادي ما زالوا يعتنقون عادات وتقاليد المنزل في كفرنبل المترسخة في عقولهم، فكم تسرني رؤيتهم مجتمعين حوله كما في الأيام الخوالي، وأتمنى أن يبقى ويتذكره الجميع ويتناقلونه جيلاً بعد آخر".

جاد الحق

المرض النفسي الذي تفرد به العرب

دائمًا ما كنت أعجب من نذير الشؤم الذي نحمله بداخلنا، (بُومنا) الكامن إن صح التعبير، ولتقريب الفكرة أكثر تذكر كم مرة جمعك مجلس فكاهة لذيذ محبب للنفس ضحكت فيه حتى نسيت همك، ليقطع أحدهم مرح الجلسة قائلا: "الله يعطينا خير هالضحك"؟! وكأن الله، وحاشاه عن ذلك، كتب في اللوح المحفوظ أن عاقبة كل ضحك هي مصيبة تبكيك من حرها!

عادة ما تكون السعادة مدار البحث والتنقيب في حياة الإنسان، لكن الإنسان العربي لا يدخل ضمن هذا التعميم، بل هو استثناء القاعدة الذي أعجز الفلاسفة والعلماء، فوحده الإنسان العربي من يفتش عن الحزن ليعيشه، وإذا لم يجد الحزن يتفنن بصنعه بنفسه.

اكتب في مستطيل البحث باليوتيوب كلمة الأغنية وستجد اليوتيوب سيكمل لك بالتالي: الأغنية التي أبكت الملايين، الأغنية التي ستجعلك تبكي رغمًا عنك، .... إلخ، ولو اخترت في البحث هذه الخيارات ستصدم من حجم المشاهدات والتفاعل على هذه المقاطع!

بعيدًا عن نظرية المؤامرة، لكن يبدو أن اليوتيوب قد فهم تمامًا المزاج العربي.

مرة قررت أن أقوم بتجربة ميدانية ضمن دائرة معارفي، سألتهم ماذا تفعلون صباحًا حين تستيقظون؟ ولماذا تفعلون ذلك؟

على السؤال الأول تنوعت الإجابات بين شرب القهوة وسماع فيروز والتدخين، على السؤال الثاني اتفقت الإجابات على تعليل التصرفات بعبارة "حتى أروّق"!

كأنَّ الأصل أن يقوم الإنسان من نومه منزعجًا مكتئبًا بعد شجارات منامية، أو أشغال حُلُمية شاقة!

هذا التساؤل العجيب بقي يدور بذهني حتى وجدت له جوابًا شافيًا عند العبقري الراحل (أحمد خالد توفيق) حيث أتى الجواب في قصته أسطورة (الجاثوم) على لسان بطل سلسلته ما وراء الطبيعة الدكتور رفعت إسماعيل: "لماذا فَقَدَته؟ لم تعد تذكر الآن.. لقد كان يحبها بجنون.. لكن (إرادة النكد) حق لا ريب فيه مثل (إرادة الفشل) و (إرادة الموت) هي الشيء السحري الذي يدفع المرء لإفساد سعادته حين يكون سعيدًا.. ويدفع محبين متفاهمين إلى الشجار دون سبب أو لسبب لا يذكر."

نعم إنها إرادة النكد، مصطلح أكثر من بليغ يوصّف ذاك الشخص الذي نحبسه بين أضلاعنا وقد نصطلح على تسميته الصوت الداخلي، أو الشخصية، أو الضمير، فهذه الكينونة التي نحويها تؤنبنا دومًا في أي لحظة فرح، وتستغلها لإفساد مزاجنا وسعادتنا بالإيحاء لنا أن هذه السعادة نذير الشؤم القادم، والهدوء الذي يسبق عواصف المصائب، لكن ما سبب هذه الظاهرة؟؟

السبب الرئيس هو حالة الكبت والاختناقات التي تعانيها شعوبنا، أزمات إثر أزمات يقاسيها المواطن العربي حتى ثبت في اللاوعي عنده أن السعادة لذة محرمة عليه، فإن نالها قدرًا فعليه التبرؤ منها والتوبة لله واستغفاره عمَّا أجرم. حتى ذاكرتنا الشخصية تقف ضدنا إن أردنا استرجاع لحظات جميلة عشناها، فتقدم لنا ذكريات سوداء وتقنعنا أنها جميلة، مثل حين أجتمع مع أصدقائي القدامى ونفتح صندوق الماضي، أراهم يتحسرون على أيامنا في المدرسة والجامعة، مع أنني وهم نعرف تمامًا أنها كانت عبارة عن أزمات مالية، وصدامات مع الأهل، ومشاكل دراسية، وشجارات مع المدرسين لا تنتهي، وصفعات عاطفية محرقة، ومع ذلك أُفاجأ بإصرارهم على تذكرها والتحسر عليها، علمًا أنني سجدتُ شكرًا لله أن نجاني منها إلى ما أنا فيه اليوم من أيام أقل توحشًا على الأقل على الصعيد الفردي، وقِس على ذلك ذكريات باقي الناس عن خدمتهم العسكرية الإجبارية في جيش النظام، وما قاسوه هناك من إذلال وتعذيب وإهانات' ثم إصرارهم على استرجاع تلك الأيام بغلاف من التلذذ العجيب والحسرة على ما فات! أظن أن طول عهد القمع السياسي الذي عاشته الشعوب العربية لم يترك فقط آثارًا سلبية على اقتصادها وتقدمها، بل الأخطر أنه ترك ندبات محفورة بروحها ووجدانها أوجدت لها ما يشبه التشوه النفسي، واضطراب التمييز بين الجيد والقبيح، لا أرى غير ذلك تفسيرًا لمصطلح إرادة النكد الذي أطلقه الراحل المبدع أحمد خالد توفيق.

عبد الملك قرة محمد

6000 آلاف طالب في امتحانات جامعة حلب الحرة

بدأت جامعة حلب في المناطق المحررة الفترة الامتحانية الأولى لهذا العام رغم كل المضايقات التي تعرضت لها.

وتتوزع مراكز الجامعة في الريف الشمالي في أعزاز، والريف الغربي في مدينة الأتارب وعويجل، بالإضافة إلى كفر تخاريم ومركز معرة النعمان الذي توقفت فيه الامتحانات نتيجة قصف النظام للمدينة.

جامعة حلب غيرت أماكن كلياتها من ريف إدلب (الدانا وسرمدا) إلى الأتارب، ونتيجة أعمال الصيانة للموقع الجديد اضطرت إدارة الجامعة لتأخير موعد بداية العام ممَّا أدى إلى تأخير موعد الامتحانات إلى الشهر الثاني، في حين أنهت كل الجامعات السورية امتحاناتها.

صحيفة حبر زارت كليات الجامعة في مدينة الأتارب والتقت الدكتور (رياض وتار) عميد كلية الآداب الذي قال: "واجهنا مشكلة في ضيق المكان نتيجة عدد الطلاب الكبير، لكننا استطعنا التغلب على هذه المشكلة باختيار أيام محددة لكل كلية."

وعن الأحداث الأخيرة وتأثيرها على الطلاب قال الدكتور: "لم تُؤثر الأحداث الأخيرة على الطلاب، إذ تعاملت الجامعة مع هذه الضغوطات بكثير من الحكمة حتى تمكنا من تجاوزها".

وعن نسبة المتقدمين أضاف الدكتور رياض: "نسبة المتقدمين ممتازة، لدينا في كلية الآداب ما يقارب 700 طالب، وعدد المتقدمين تجاوز 600 طالب وهي نسبة عالية".

أما عن حالات الغش في امتحانات الجامعة، فقد كانت قليلة بحسب الدكتور رياض الذي عبر عن ذلك بقوله: "لا يوجد حالات غش، إذ سُجلت حالتان فقط، وهذا يدل على وعي الطلاب والمراقبين بالتعليمات الامتحانية، ممَّا يصب في مصلحة الجامعة".

ويؤدي مكتب الطلبة في الجامعة دوراً مهماً في خدمة الطلاب أثناء الامتحانات من خلال وضع البرامج الامتحانية المناسبة للطلاب عن طريق الممثلين من كل كلية بحسب رئيس المكتب الطالب "عمير شعبان".

وعن الامتحانات يقول عمير رئيس المكتب: "يتقدم للامتحانات في الجامعة ما يقارب ستة آلاف طالب في جميع الكليات، كما تجري الامتحانات بشكل مريح وسهل، أما بالنسبة إلى الأسئلة فهي جدية أكاديمية تخدم الهدف الأبرز الذي تسعى إليه الجامعة في الحصول على الاعتراف الدولي".

وعبر عدد كبير من الطلاب عن إصرارهم للنجاح لا سيما طلاب السنة الرابعة الذين يحلمون بالتخرج من جامعتهم التي قضوا فيها أربع سنوات في التعلم والعطاء.

(نور أوزون) طالبة في كلية الاقتصاد قالت: "ما يسبب لنا قلقاً هو تنقلنا المستمر من مكان لآخر، أتمنى أن نبقى في الأتارب وألا نضطر للانتقال إلى مكان جديد. أما بالنسبة إلى الامتحانات، فالوضع جيد والأسئلة تتراوح بين السهولة والصعوبة، ونحن مستمرون في جامعتنا، ففيها بدأنا مسيرة التعلم وفيها سننهي هذه المسيرة أيضاً".

ستة آلاف طالب يخطون بأيدي التحدي درباً للعلم بعيداً عن مؤسسات الأسد الديكتاتورية ويرسمون بآمالهم الخطوط الأولى للمستقبل الذي يحلمون به ولأجله يعملون.

أغرب مباراة في تاريخ كرة القدم!

في عام 1925 أُقيمت مباراة في بريطانيا بين نادي آرسنال الإنجليزي وسبارتاك الروسي على ملعب وايت هارت لين، وقبل بداية المباراة غطى ضباب كثيف كل أرجاء الملعب، بحيث تستحيل رؤية الشباك أو حتى زميلك لتمرر له، والمصيبة أنك لا تستطيع أن تميز بين لاعبي الفريق.

لم يستطع الحكم إيقاف المباراة بسبب أن الفريق الروسي جاء من بلد بعيد ليلعب المباراة، فما كان منه سوى أن يعلن عن صفارة البداية، وهو لا يعرف حتى كيف سيدير المباراة أو حتى كيف ستكون.. وهنا ستبدأ الغرائب.

أحد لاعبي فريق آرسنال قد طرد من المباراة بسبب تشاجره مع لاعب من فريق الخصم، لكنه لم يغادر المباراة بل استمر في اللعب بحُكم أن الحكم لن يرى شيئًا، وفعلاً نجحت خطته واستمر في اللعب دون أن يلاحظ أي شخص الخدعة.

حتى الفريق الروسي كان له حصته، فقد أجرى المدرب تبديلاً لأحد اللاعبين لكنه لم يخرج بل استمر في اللعب طوال المباراة بسبب الرؤية السيئة لـ أرض الملعب.

بدأ الشك يساور الجميع بسبب كثرة لاعبي الفريق الروسي، حيث كانوا يلعبون بـ 15 لاعبا بدلاً من 11، لكن المشكلة كانت أنه لا أحد يستطيع عدَّ اللاعبين بسبب كثافة الضباب، كل هذا لا يساوي شيئًا أمام الحادث الأخير، فعندما انطلق حارس آرسنال اصطدم بالقائم وأُغمي عليه لتكون المصيبة نزول أحد المشجعين من المدرجات ليحل مكان الحارس المصاب.

كم يبلغ الراتب الكامل والحقيقي لمحمد صلاح

نشرت صحيفة "الديلي إكسبريس" البريطانية، تقريرًا رياضيًا، كشفت فيه عن الراتب الحقيقي للمصري محمد صلاح، نجم المنتخب المصري، وهداف ليفربول الإنجليزي.

وقالت الصحيفة: إن محمد صلاح احتل المركز الأول في القيمة التسويقية في الدوري الإنجليزي، وأصبح الرابع عالميًا، بقيمة تسويقية وصلت إلى 168.3 مليون يورو.

وأكدت أن صلاح، جاء في المرتبة الثانية، بعد البرازيلي "نيمار دا سيلفا"، نجم باريس سان جيرمان الفرنسي، الذي تصدر القائمة بقيمة تسويقية وصلت إلى 229.1 مليون.

وأوضحت أن ليفربول عزز صفوفه بصلاح عندما كان في روما، مقابل صفقة بلغت 36.9 مليون جنيه إسترليني.

وشددت على أن صلاح تضاعفت قيمته الآن في عام 2019، مؤكدة أن أجره ارتفع عام 2018 بعد توقيعه عقدًا مع الريدز حتى 2023، حيث وصل راتبه الأسبوعي إلى 200 آلف جنيه إسترليني.

سليم أبو رشيد

بيجوفيتش وهروبي إلى الحرية

سطر التاريخ أسماء عدة كانت رمزاً في أفق النضال الفكري الإسلامي، ويبرز من بينهم نجم علي عزت بيجوفيتش، المفكر والفيلسوف والزعيم السياسي الذي اختير رئيساً للبوسنة والهرسك بعد استقلالها في نهاية القرن العشرين، انضم في شبابه إلى منظمة الشباب المسلمين، واشتهر علي عندما ألف كتاب "البيان الإسلامي" الذي جاء رداً على كتاب "البيان الشيوعي" لماركس، وسجن بسبب ذلك، فملأ سنين سجنه بالتدوين والتفكير والكتابة، وتوج أعماله بنشر مذكراته التي جمعها في كتابه "هروبي إلى الحرية".

اهتم بيجوفيتش بالفكر الإسلامي والإسلام السياسي، حيث يرى أن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرماته، ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها، إنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه، من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعي باطني، من قوة النفس في مواجهة محن الزمان، من التهيؤ لاحتمال كل ما يأتي به الوجود من أحداث، من حقيقة التسليم لله، إنه استسلام لله والاسم: إسلام.

ولعلّ أهم ما يميز مفكرنا معرفته الواسعة بالنظام الرأسمالي رغم حياته في ظلال الماركسية والاشتراكية، فقد أدرك منذ البداية أننا لا نتعامل مع نظامين مختلفين، إنما نتعامل في واقع الأمر مع نموذج معرفي واحد كامن يأخذ شكلاً اشتراكياً في حالة الاشتراكية، وشكلاً رأسماليا في حالة الرأسمالية، وأن هناك رؤية واحدة وراء كل تلك المنظومات المتصارعة المتنازعة.

وقد استرسل بالبحث في تفسير ظاهرة الإنسان في كل تركيبتها، هذه التركيبية المرتبطة تمام الارتباط بثنائية الإنسان والطبيعة، وهي نقطة انطلاقه والركيزة الأساسية لنظامه الفلسفي، وقد توصل إلى إدراك هذه الوحدة الكامنة وراء التنوع لأنه استخدم نموذجاً تحليلياً معرفياً مركباً.

فقد أدرك البعد لتلك الظواهر التي يدرسها، سواء أكانت نظرية التطور أم الفلسفة العدمية أم العقيدة الإسلامية.

ودراسة البعد المعرفي والنهائي الكلى هو في نهاية الأمر إجابة عن سؤال أساسي وهو: ما الإنسان؟ والإجابة عن هذا السؤال هي التي تحدد طبيعة النموذج الحاكم.

واستخدامه النموذج كأداة تحليلية مكّنه من الربط بين ظواهر قد تبدو كأنها لا علاقة للواحد منها بالآخر، بل متناقضة، ظواهر لا يمكن الربط بينها إن اتبعنا منهج الوصف الموضوعي العادي. فبيجوفيتش يربط بين كل من الدين والأخلاق والفن والحرية وذلك باستخدامه النماذج المركبة.وكان لا بدّ لكل تلك الأعمال أن تتوج، ولكل تلك الأفكار أن تلألأ ولتلك النظريات أن تزين وجاءت الظروف لتهيئ له تلك الفرصة ليجمع خلاصة فكره وزبدة معتقداته فسطر " هروبي إلى الحرية "

كان "هروبي إلى الحرية" عبارة عن أفكار وخواطر متفرقة، عبر فيها عن طموحات المسلمين البوشناق وباقي العرقيات في البوسنة والهرسك، وجمع فيها خلاصة توجهاته وحشداً هائلاً من التأملات والاعتقادات في شتى المواضيع السياسية والفكرية والفلسفية التي ميزت فكره المتفرد والمختلف.وأعطى كتابه مثالاً للإنسان المسلم المثقف المنفتح على العالم، والقادر على الاندماج مع الآخرين، القادر على فهم العالم بشكل صحيح، فهو يعطي للأدب حق قدره ويعطي للأخلاق حق قدرها، فقد أعطى بكتابه مثالاً للشخصية الإسلامية الفريدة لدرجة الندرة، شخصية تكون مثالاً لتشكل التيارات الإسلامية الرائدة المترفعة عن التيارات الموجودة.عمل المفكر على تجميع قصاصات لملخصات عدة كانت حصيلة تجاربه وقراءاته فكان كتابه يدور حول نقاط متفرقة لم تسمح له سنون الاعتقال الخمس من جمعها وجعلها في نسق كتاب واحد حتى أصبح أقرب لنوع من أنواع الكشكول، فليس له هدف محدد بقدر ما يستعرض نقاطاً تنير دروباً لم تكن لتبصرها العقول العربية. كما أكد الكاتب على مجموعة مفاهيم تخدم الإنسان الذي قد يتعرض لمثل حالته في الاعتقال من استثمار للوقت ونهم للقراءة وتطوير لمهارات الكتابة وفضل الصيام والروحانيات.

وقد تحدث في كتابه عن عدة أفلاك في ستة فصول وملحق، فكان له قسم عن الحياة والناس والحرية وقسم عن الإسلام وقسم عن النازية وآخر عن الفاشية وبعض الحقائق التي لا يجوز نسيانها، وقسم للتعليق على كتابه الآخر "الإسلام بين الشرق والغرب"، وعن نظرية الطريق الثالث التي يضيفها المؤلف إلى كتابه "الإسلام بين الشرق والغرب"، وملحق عن رسائل من أولاده له أيام سجنه.

وابتدأ حديثه في الفصل الأول عن الحياة والناس والحرية وذكر أن فقدان أسباب ومحفزات العيش وما يسعى الإنسان لأجله يعني الموت، وقد تحدث عن هيجل وآرائه التعميمية في كتابه فلسفة التاريخ، وعن ازدراء هيجل للهنود والصينين والزنوج، ويرد المؤلف على أشكال هيجل بأن الوصف لا يطابق الموصوف كفرد لا كشعب، لأن التعميم غير مقبول. ويسترسل بذكر تعليقات وتلخيصات على شكل عناوين ذات حس انطباعي أو حكمة أو ملاحظة. وقد استعرض في الفصل الثاني الدين والأخلاق وذكر الدين بوصفه ظاهرة تاريخية له جانبان: جانب التعاليم وهي وحي إلهي، وجانب عن التجربة وهي من عمل الإنسان، فالله يعلن الدين والناس يطبقونه، وتدور الأفكار حول الأخلاق السمحة التي تتجلى في الدين الحق. وأما الفصل الثالث فكان بعنوان ملاحظات سياسية وتكلم فيها عن إلغاء القوانين الإلهية التي وضعها الله سبحانه وتعالى ومخاطرها ومضار إلغائها.

وقد قام بتصنيف وتقسيم أمريكا شمالاً وجنوباً، فأمريكا الجنوبية في الغالب كاثوليكية والشمالية بروتستانتية، وقال إن أماكن البروتستانت أكثر انفتاحاً من أماكن الكاثوليك ويذكر الإشكاليات التي حدثت حول إسقاط حكم الإعدام. ولم يهمل الحديث عن الحضارات وصراعها والدول وسباق الهيمنة بينها، حتى أنه حلل طبيعة الشعوب قبل دخولها في أبواب التاريخ بمرحلة الحضارة وما بعدها، وأوضح كيف يكون الترف سبباً رئيساً في زوال الأخلاق، كما بعض الصفحات للحديث عن الديمقراطية.

والفصل الرابع كان بعنوان هامش على كتاب "الإسلام بين الشرق والغرب"، قام فيه بسرد اختصار لأهم محتويات الكتاب بعناية التوجيه والتعامل السهل مع أهم أفكاره، وعرض فيه أهم آراء الفلاسفة في بعض الموضوعات المحورية كالثقافة والحضارة لدى هيغل مصير الدولة عند أفلاطون

كما وقد تكلم عن انتشار الاشتراكية والديموقراطية في أوروبا وفي أمريكا الجنوبية، وانتشار الديانات فيها أيضاً.

والفصل الخامس كان عن الشيوعية والنازية وبعض الحقائق التي لا يجوز نسيانها، وتكلم في مطلعها عن الإعلان الذي أذاعه الجنرال الروسي عند احتلال برلين الذي يوضح همجيتهم وتوحشهم، وتكلم عن بعض أفعال الشيوعيين السوفييت والنازيين الألمان، وذكر بعض الأمثلة من كتاب "البقع البيضاء" التي تفضح الاشتراكية في روسيا والصين، وقد تكلم عن أساليب معسكرات الاعتقال الألمانية والروسية.

وإننا نلاحظ أنه قد كثف المعاني في الفصل السابق إلا أنه توسع في الفصل السادس بذكر ملاحظات عن الإسلام وتكلم فيه عن الهزائم والخسائر التي ألحقناها بأنفسنا وعن ظهور علم الكلام وعن تأثير إغلاق باب الاجتهاد على الأمة. وقد اختتم كتابه بملحق من الرسائل التي وصلت إليه من أولاده أثناء سجنه تمثل هروبه العاطفي وظروفه وأسرته وحريته اللامحدودة وهو في السجن.

حاز بيجوفيتش على العديد من الجوائز والأوسمة التي لخصت جزءاً من نضاله الفكري والسياسي، ومنها جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام، وجائزة مولانا جلال الدين الرومي لخدمة الإسلام، وجائزة الدفاع عن الديمقراطية الدولية، وقد اختير عام 2001 الشخصية الإسلامية لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم باعتباره من المفكرين الذين أسهموا بدعم الفكر الإسلامي.

ولعلّ من الضروري أن يتمعن القارئ بكتابه السابق "الإسلام بين الشرق والغرب" قبل الخوض في غمار "هروبي إلى الحرية" حتى يعي تسلسل سير الأفكار، وكما اختصر المفكر جاسم سلطان معظم أفكار علي عزت بيجوفيتش في أوائل العقد الماضي في سلسلته أدوات النهضة، من قوانين وسنن كونية ومعلومات لا يجب على المثقف الجهل بها، ولم ينسَ المفكر طرح أفكاره بأسلوب يتناسب مع جميع شرائح القراء فقد احتوى زخمًا هائلاً من المعلومات بأسلوب مبسط لين، لكنه لم يوفق في الترجمة حق التوفيق، ومن أشد الإجحاف تقييد كتابه ببضعة أسطر مقابل الخوض في غمار تجربة عميقة مع قامة من قامات الأمة ...

اللاهثون وراء خيبتهم

لا تُبنى الأوطان بخوض الحروب، ولا يبنيها مُحدَثو السياسة كذلك، الأوطان تُبنى عندما يتفرغ الجميع للعمل، يتصورون شكلها المقبل، كيف ستسورها العدالة، وتملؤها الحرية، كيف تُحمى مؤسساتها من الفساد، وكيف تتم إدارتها، يبنيها الباحثون عن هموم الناس ومعاناتهم، الذين ينتمون إليهم ويخففون آلامهم ليمنحوهم الشعور بالنصر إن حدث، ويعملوا ليجدوا آلاف المتخصصين لملئ شواغر البلاد الخاوية والشروع في بنائها، كيلا يعاد تحريك عجلة الفساد من جديد، وتتولد العطالة من جديد.

أمّا أولئك الذين يتربصون منصباً أو لا يجيدون سوى تصويب الأسلحة نحو أهدافهم من محدثي السياسة والعسكرة والقوة والسلطة، جائعي الوصول، محبي الظهور، اللاهثون وراء أحلامهم بالتربع على أي عرش خرب تلتقطه الكاميرات وتحكي عن بطولاتهم، فهؤلاء لا يقدرون على بناء الدول، ولا يستطيعون تحقيق النصر، إنهم فقط بارعون في إعلان الخراب، وفي الجلوس في قمة مزابلهم فوق معاناة الناس وآلامهم.

لن نستطيع تحقيق أي نصر أو توليد عجلة للعبور والبناء مالم نتعاضد جميعاً في عمل واحد، يؤمن كلٌ منّا بدوره فيه، سواء كان جدافاً أم قبطاناً أم صانع شباك للصيادين، وإلا فإننا قد نحقق الغلبة، ولكننا لن نحقق النصر، لأن النصر لا يكتمل إلا بالبناء، ومن لم يعد للبناء خطته الكاملة، ليصنع الدولة المستقرة، فإنه ينتصر للفوضى لا للناس، ينتصر للخراب، للصوص، للاستبداد الجديد، وربما ينتصر لهزيمته التي ستعصف به عمّا قريب.

لن يحقق السياسيون ما يحلمون به إن كان كل همهم كيف يكونون أوفياء لظهورهم البطولي، أو مكاسبهم الآنية، حتى وإن وقف الحظ إلى جانبهم في إحدى جولاتهم. إن لم يتمكنوا من تحضير خطة محكمة لإدارة البلاد، فإن التغيير الذي يناضلون من أجله سيعصف بهم وسيقعون ضحايا متاهته التي لم يتحضروا لها، ستلعنهم أفواه الناس كما لعنت سواهم، ولنا فيما نملك من أرض نتخبط بها خير برهان على ذلك.